الشهيد مراد ديدوش ودوره في التحضير للثورة التحريرية وقيادتها

أ. الدكتور / عبد الله مقلاتي
جامعـــة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمـــة :

الشهيد ديدوش مراد بطل ثوري آمن بالكفاح المسلح ودعا إليه، لم يثنه وضعه المادي المريح ولا تربيته العاصمية من اعتناق القضية الوطنية، وتقديم نفسه أنموذجا للتضحية والإخلاص، حيث كان له دور بارز إلى جانب بوضياف في التحضير والإعداد لتفجير الثورة، وكان له شرف قيادة منطقة الشمال القسنطيني خلال المرحلة الأولى لاندلاع الثورة والى غاية استشهاده في بداية عام 1955، كما ظلت أفكاره راسخة ورسالته مسموعة بفضل دروسه وقيمه التي لقنها للمسؤولين وللمجاهدين البسطاء، ونظرا لاستشهاده المبكر وعدم توفر المعلومات الكافية فإنه لم يكتب عنه بالقدر الكافي، خاصة وأن للرجل مكانته في إدارة المنظمة الخاصة وتفجير الثورة وقيادتها، وهو ما نحاول جادين إبرازه في هذا البحث المتواضع.

أولا/ المسيرة النضالية للشهيد:

ينتسب مراد ديدوش لأسرة قبائلية محافظة ووطنية، انتقل والده من منطقة ابسكرن بتقزيرت ولاية تيزي وزو حاليا الى العاصمة وسكن حي لارودوت، وفي يوم 14 جويلية 1927 استقبل مولوده الأصغر مراد، ودفعت وطنية الأب إلى تسجيل ابنه يوما قبل الميلاد المصادف للعيد الوطني الفرنسي، وكان الوالد أحمد سليل عائلة وطنية وعلمية، رأى أن يترك الحياة الجبلية القاسية ويقطن بالعاصمة من أجل تعليم أبنائه، عبدالرحمن والشهيدين حميد ومراد[1]، وحسب شهادة الأخ عبدالرحمان فإن مراد نشأ في عائلة وطنية أثرت على مساره الوطني، فقد كان الوالد معتزا بوطنيته ودينه ومعروفا بكره للاستعمار، ويكون مراد وأخويه الكبيرين قد تلقى مبادئ الوطنية في بيته، وقبل أن تتفتق في المدرسة وخلية الكشافة الإسلامية وحزب الشعب[2].

1 - محمد الصالح الصديق: **من الخالدين**، دار الأمة، الجزائر، 2002 ، ص 21 وما بعدها.

2 - وردت هذه الشهادة المهمة في كتاب عبدالرحمن زناقي: **ديدوش مراد الشهيد الصامد**، ط1، دار بني مزغنة، الجزائر، 2005، 2014 . ص16 وما بعدها

تلقى مراد تعليمه الابتدائي في المدرسة الفرنسية إلى جانب تردده على المسجد لحفظ القران الكريم، وواصل تعليمه سنة 1939 في المدرسة التقنية ب "العناصر"، وفي سنة 1942 انتقل إلى قسنطينة، حيث واصل دراسته في الثانوية التقنية وتخرج مقتصدا، وفي قسنطينة بدأ مراد نشاطه السياسي من خلال احتكاكه ببعض زملائه المناضرين لحزب الشعب، وهو ما تجلى واضحا في رسالة بعثها لأسرته أثارت دهشة أخوه عبدالرحمان[1].

وكانت المرحلة الثانوية فرصة لتفتق مداركه الفكرية، حيث بدأ الانفتاح على وسط الأوربيين، وشعر بغربة سحيقة بينه وبينهم، وأصبح يشعر بمظاهر الظلم والاضطهاد المسلطة على شعبه أينما حل وارتحل، في العاصمة وفي قسنطينة وفي مسقط رأسه، وهو ما أثار في أعماقه ألما وحزنا على أوضاع أبناء شعبه، وجعله يفكر في مستقبل وطنه ويسعى للتضحية من أجل تخليص شعبه من ربقة الاحتلال والظلم[2].

وفي سنة 1944 والحرب العالمية تضع أوزارها رجع مراد إلى العاصمة، تأثر بالوضع السياسي المستجد والمتمثل أساسا في تأجج المطالب الوطنية وتوسع نشاط حزب الشعب السري، والتجمع حول مطلب الاستقلال، خلالها تمكن مراد من الحصول على عمل في شركة للفحم ثم في شركة السكة الحديدية، ومع نهاية الحرب وتجربته النضالية ازداد وعيه السياسي، حيث كانت مخلفات الحرب على أوضاع الجزائريين عميقة، وأسهمت حوادث الثامن ماي 1945 في وضوح الرؤية نحو ضرورة الخيار الثوري المسلح، كان ديدوش منخرطا في حزب الشعب بالعاصمة، قاد خلية حيه لارودوت، وفي السنة الموالية أنشأ فرقة للكشافة الإسلامية، وكذا فريقا رياضيا، وكلها كانت تعبر عن حيوية المناضل، وتصب في خدمة شعبية الحزب الاستقلالي، وبحكم حيويته كلفه حزب الشعب بتشكيل عدة خلالها لها بأحياء القولف، كلو صالومبي، وبئر مراد رايس[3].

وعليه فقط كانت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية مرحلة مهمة في تكون ديدوش القائد الثوري، كان خلالها من أنشط عناصر حزب الشعب النشطين مع بلوزداد، ملهمه الأول، وخاصة في مجال التنسيق من أجل إنجاح مظاهرات ماي 1945 بالعاصمة، وضمان تعبئة الفئات المجتمعية لليوم المأمول بما في ذلك بعض الطلبة التونسيين والمغربيين الذين كانوا يدرسون بجامعة الجزائر، وبدوره كان الثامن ماي درسا ملهما لديدوش في الوطنية والتضحية، ما جعله يتجند في صف الحزب الثوري ويقدم نفسه قربانا، ومن خلال مرافقته لملهمه الأول بلوزداد المستمرة استطاع أن يتفهم معنى النضال والوطنية وسيسبر أغوار المناضلين

1 - عبدالرحمن زناقي: المرجع نفسه29، 30 .

2 - محمد الصالح الصديق: المرجع نفسه، ص 22 .

3 - عفرون محرز: **مذكرات من وراء القبور**، دار هومة، الجزائر، ص 165

الحقيقيين، وخاصة من خلال حضوره التجمعات واجتماعات الحزب، بما في ذلك اجتماع بوزريعة عام 1947 [1].

وفي سنة 1948 انتدبه بلوزداد محمد لتأطير المنظمة السرية، وصارحه بالقول أن مهمته لم تعد في حيه، وأن التنظيم الجديد يحتاج إلى رجل ذكي وحيوي وشجاع مثله، وعينه قائدا جهويا مساعدا لبوضياف في عمالة قسنطينة، وأشرف على مدينة قسنطينة وضواحيها، حيث عرف باسم" LE PRTIT " لقصر قامته، وقضى هناك أكثر من سنة قبل أن يتحول إلى سكيكدة، تنقل خلالها بين دروب المدينة وجند شبانها، وتجول بين مختلف القرى والمداشر، ومنها السمندو، وبيزو، التي حملت بعد الاستقلال اسمه[2]،

وبعد اكتشاف المنظمة السرية تعرض لملاحقات الشرطة فاختفى في العديد من الأماكن بالأوراس أولا ثم بالعاصمة رفقة ابن مهيدي، وظل يهيأ الظروف لإعادة بعث المنظمة الخاصة والتحضير للثورة، وكان على الرغم من ظروف الحياة السرية ينهض بنشاط دائب، ويتحرك بحيوية نشطة، وخلال ركونه للراحة كان يقضي وقته في التفكير ووضع الخطط وحل المشاكل الطارئة[3].

وفي العاصمة أدار ديدوش شبكة واسعة من قدامى المنظمة الخاصة النشطين، مثل الياس دريش ولخضر رباح، وبوعجاج ...الخ، وكان من قبل من مساعدي محساس في الحزب، وعليه تكلف ديدوش بفضل شبكته النشطة في تهريب ابن بلة ومحساس من سجن البليدة بعد أن تخلى عنهما الحزب، ويقال أن محساس ذهب مباشرة إلى ابن خدة ولحول وأشهر مسدسه في وجههما، كما تكفل ديدوش كذلك بسفر ابن بلة إلى فرنسا ومنها إلى القاهرة بوثائق مزورة[4].

وفي عام 1953 عين مسؤولا في فيدرالية فرنسا، وهناك عايش أزمة انقسام الحزب وعجزه عن اتخاذ الموقف الثوري، وقام هناك رفقة بوضياف بجهد معتبر في عمليتي التوعية والتنظيم .

وإثر أزمة حزب حركة الانتصار بادر مع زملائه النشاطين إلى إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل وحث على الإسراع في إعلان الثورة، حيث شارك في الاجتماعات التحضيرية للثورة وعين ديدوش قائدا لمنطقة العاصمة، ثم حول في اللحظة الأخيرة إلى منطقة الشمال القسنطيني، وأظهر البطل شجاعة وقدرة فائقة على التنظيم، حيث قاد العديد من العمليات الباهرة رغم قلة الأسلحة، وكان رحمه الله دائم التفكير في انجاح مشروع الثورة وهو في المهد.

1 - المصدر نفسه، ص 165

2 - عبدالرحمن زناقي: المرجع السابق، ص48 وما بعدها.

3 - محمد الصالح الصديق: المرجع نفسه، ص 24 .

4 - شهادة أحمد محساس للباحث، الجزائر، 2005

وقد تمتع ديدوش بنظرة سياسية ثاقبة فظلا عن شخصية العسكرية المقتدرة، وإن الدارس لمواقفه وأفكاره يقف على ملامح العبقرية الفذة ، وقد أجاب مرة أحد جنوده الذي سأله عن مدة الكفاح المسلح قائلا: " سنخوض أربع سنوات من الكفاح لنرغم فرنسا على التخلي عن فكرة الجزائر فرنسية، وليحتضن الشعب الثورة ثم نخوض المعارك والمجابهات مع فرنسا أربع سنوات أخرى، وننتظر استقلالنا"، وكانت هذه نظرة استشرافي بعيدة صدقت في الميدان[1].

وتذكر شهادة المناضل حسين بن الميلي أن ديدوش طلب منه محاولة إقناع بوضياف بوضع مصالي على رأس قيادة الثورة لما له من احترام ومكانة في أوساط الشعب والمناضلين، ولكن بوضياف تجاهل المقترح، وبعد الاستقلال عبر بوضياف لابن الميلي عن ندمه لعدم الأخذ بمشورته فأبلغه أن المشورة كانت من لدن ديدوش، والذي كان قلقا حول إمكانية دفع الجزائريين للنضال خلف رجال مجهولين لديه [2].

ثانيا / مراد ديدوش ومشروع الثورة:

تولى بوضياف قيادة المنظمة الخاصة في عمالة قسنطينة منذ عام 1947، واستعان في ذلك ببعض المساعدين الذين ارتبط تاريخهم ببوضياف مهندس ثورة أول نوفمبر، وهم ابن مهيدي وديدوش وعبدالرحمان غراس، وإبراهيم شرقي، كان ديدوش شابا في مقتبل العمر، حيوي ونشيط ومؤمن بالقضية الوطنية، اكتشفه محمد بلوزداد في خلية المرادية وقدمه لبوضياف، وقد استعان به في الإشراف على أهم منطقتين في الشمال القسنطيني، منطقة قسنطينة منذ عام 1948 والى أواخر 1949، ومنطقة سكيكدة، حيث خلف إبراهيم شرقي إلى غاية اكتشاف المنظمة عام 1950، وأما منطقة سطيف فكان يشرف عليها سي صالح؟، والجنوب يتولاها عبدالقادر العمودي [3].

وقد أشرف بوضياف على رقابة فريقه، كان يجمع غالبا بقيادة أركانه في بيت منعزل بالقرب من منعرجات وادي الرمال، حيث كانت عائلات تقرب لعبدالسلام حباشي وحداد حمادة[4]، وكان بوضياف وفريقه ينبض بعمل سري مجهد ودقيق، يتمثل في تكوين خلايا المنظمة الخاصة، وتدريبها وتجنيدها استعدادا للثورة[5].

وفي منطقة قسنطينة وضع ديدوش لبنات التنظيم وجند خيرة عناصره، عبدالرحمن غراس، رابح بيطاط، عبدالسلام حباشي ومحمد مشاطي، السعيد بوعلي، رمضان بن عبدالمالك وعبدالحفيظ بوالصوف،

1 - مقلاتي عبدالله: **أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية**، دار بلوتو، الجزائر، 2009، ص ، ص 277ـ 279

2 - Harbi ,Mohamed , *1954, la guerre commence en algerie, ed, COMPLEXE ,Bruxelles, 1998*, p157

3 - ابراهيم شرقي: **في قلب معركة مدينة الجزائر**، منشورات دحلب، الجزائر، 2014، ص 43

4 - محمد مشاطي: **مسار مناضل**، تر زينب قمي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010، ص 41ـ 42

5 - عن هذه التجربة ينظر مذكرات شرقي، إبراهيم شرقي: المصدر نفسه، ص 46

وهيكل القسم في عدة فروع، مدينة قسنطينة، ووادي الزناتي، والسمندو، والخروب، ميلة وشلغوم العيد، وتبسة، وفي منطقة الشمال كان هناك قسمان، قسم عنابة ويضم ثلاث فروع، عنابة وقالمة وسوق أهراس، ومن مسؤولي القسم حسين بن زعيم وعمار ابن عودة وباجي مختار، والساسي بن حملة، وقسم سكيكدة ويضم أربع فروع، سكيكدة والقل والحروش وعزابة، ومن مسؤولي القسم، عيسى بوكرمة وزيغود يوسف([1]).

وخلال مرحلة تأسيس وتكوين الفروع والخلايا بذل ديدوش إلى جانب بوضياف وابن مهيدي جهودا جبارة، التنقل إلى مختلف مدن عمالة قسنطينية، اختيار الرجال، التكوين والتدريب..الخ، وكل ذلك في كنف السرية وبعيدا عن العيون، كانت التجربة مدرسة لتكوين الرجال، استعان ديدوش بكامل حيويته وقدرته وحنكته وشجاعته في تأدية أصعب المهام، اكتشف ديدوش عمق الشعب الجزائري وتقاسم محنته، وازداد إصرارا على ضرورة إنجاح مهمة تخليصه من الاستعمار.

وعن طابع السرية التامة لنشاط قيادة المنظمة الخاصة بقسنطينة تفيدنا شهادة مسؤول خلية قالمة ابن حملة أن بوضياف ونائبيه كانوا يدربون المناضلين مقنعين، " وكان بوضياف يشرف شخصيا على تكوين المناضلين في استعمال الأسلحة وفنون القتال والحرب الثورية، يساعده في ذلك كل من ابن مهيدي وديدوش...وكان المسؤولون يقومون بمهامهم ملثمين ، لذا عرف بوضياف بين مناضلي الناحية ب " أبو الأصابع"لطول أنامله"([2]).

وبعد أن أظهر ديدوش مكانته كمسؤول قسم عينه بوضياف نائبا لمسؤول عمالة قسنطينة ابن مهيدي في سبتمبر 1949، وكان العمل مع هذه الشخصية الفذة فرصة لاكتشاف معاني الوطنية الحقة والتضحية والإخلاص من أجل القضية الوطنية، ويتذكر مناضلو قسنطينة أفضال ديدوش، حيث يصف لنا مشاطي شخصيته بالقول: "كان في سني تقريبا، مفعم بالحياة، رياضي، يحب السنما..." [(3)].

بالإضافة إلى مسؤولياته في قسنطينة كان ديدوش يرافق بوضياف إلى العاصمة لأداء بعض المهام، ففي سبتمبر 1949 قامت أركان القيادة بتكليف مشاطي بمهمة في العاصمة وضربت له موعدا في العاصمة، وجه له بوضياف التعليمات اللازمة، وسلمه ابن مهيدي المال، وتكفل ديدوش بمبيته، "قضيت إذن يومي الأول رفقة عبد القادر... مرتاح جدا في مدينته، وخاصة في القصبة الذي جعلني أزور حتى أدق أزقتها، في منتصف

1 - مصطفى سعداوي : **المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر**، منيجة للطباعة، الجزائر، 2009، ص ص 117ـ 119

2 - شهادة الساسي بن حملة مسؤول خلية قالمة، حوار مع محمد عباس، جريدة الخبر، عدد يوم 22 نوفمبر 2007.

3 - محمد مشاطي: المصدر السابق ، ص 45

النهار دخلنا للغذاء مطعما شعبيا يعود لعائلته بشارع ميسوني، وفي المساء اصطحبني لأقضي الليلة عنده بشارع الميموزا بحي القولف (المرادية)" [1].

لقد مثل اكتشاف المنظمة الخاصة صدمة كبيرة لديدوش، خاصة وأن الحدث العرضي الذي أدى لاكتشافه كان متسببا فيه، فقد ذهب رفقة ابن احميدي لتأديب أحد عناصر خلية تبسة المدعو رحيم، وخوفا من الموت المحتوم قرر رحيم الفرار من السيارة واللجوء للشرطة، تمكن ديدوش ورفاقه من الإفلات ولكن اكتشاف المنظمة كان ضربة موجعة، وخاصة عندما قرر الحزب حلها وإنكار وصايته عليها، وهو ما أدخل مسؤولو التنظيم في حيرة من أمرهم [2].

وتشير بعض المصادر إلى تنقل ديدوش وابن حميدي إلى الأوراس، ولكن ذلك غير ثابت، في حين تؤكد مصادرنا لجوئها إلى العاصمة حيث يتواجد بوضياف، إذ يذكر مشاطي أنه لجأ في ظروف التفتيش عن عناصر المنظمة الخاصة بالعاصمة إلى الضاحية الغربية عند عائلة بوقشورة، والتقى برفقاء نضاله، ابن حميدي، ديدوش، وغراس، " وابتداء من ذلك اليوم احتللنا نحن الأربعة أكبر غرفة في البيت الصغير للأخوين مجيد ومراد بوقشورة، وقد دام ذلك طيلة الأبحاث البوليسية التي استمرت لأكثر من شهرين... كان الشقيقان يذهبان للعمل بينما نبقى نحن الأربعة معتكفين نقضي وقتنا في القراءة لعبة الورق، والحفاظ على اللياقة بدون أي ضجيج كما طلب منا حتى لا نثير فضول الجيران الفرنسيين والأهالي...خلال هذه المرحلة من الاعتكاف الاضطراري كان قائدنا بوضياف، المتزوج حديثا، والذي كانت له عدة مخابئ في المدينة، يأتي بين حين وآخر ليعلمنا عن آخر ترتيبات الحزب، كان دوره بالتدقيق أن يكون الرابط بين المسؤول عن قيادة حزب الشعب الجزائري حسين لحول والمناضلين المشتتين، والذين كانوا في حالة يرثى لها منذ النتائج الكارثية لقضية تبسة" [3].

وقد قرر بوضياف وديدوش وابن بوالعيد الاعتماد على النفس منذ عام 1951، وعدم التقيد بقرار الحزب بحل المنظمة وإلحاق عناصرها بالحزب، وعملوا على الحفاظ على خلايا التنظيم وإخفائها في الأوراس، وفي السنة الموالية تعززت القناعة لدى هذه العناصر بضرورة المبادرة لإعادة تشكيل المنظمة دون انتظار تسويف الحزب، وخاصة وأنه تهيأت في سنة 1952 بعض الظروف المساعدة، مثل فشل محاولات إقناع

1 - محمد مشاطي: المصدر السابق ، ص 45

2 - مصطفى سعداوي : المرجع السابق، ص 274. 284

3 - محمد مشاطي : المصدر السابق ، ص 53

قادة الحزب بالثورة، واندلاع الثورة في تونس، ونجاح الضباط الأحرار في الإطاحة بالملكية في مصر، والاتصالات مع ضباط ابن عبدالكريم الخطابي الذين كانوا يهيئون لثورة في كامل المغرب العربي([1]).

وكان أغلب إطارات المنظمة الخاصة مختفون في الأوراس، في حين وقع بعد حل المنظمة تعيين قادتها مسؤولين عن الحزب في مدن الغرب الجزائري، ومنهم ابن مهيدي وبوالصوف وابن عبدالمالك رمضان ومشاطي محمد، وقد عين ديدوش مسؤولا عن الحزب في إحدى مدن الشرق الجزائري لفترة وجيزة، ونحي بعد أن طالته شكوك قيادة الحزب، فقد كان يخطط مع بوضياف لإعادة بعث المنظمة الخاصة، وفي هذا الإطار حاول سبر رأي صافي بوديسة مسؤول الحزب في سوق أهراس، ولكن هذا الأخير وشي به لدى قيادة الحزب وأخبر لحول حسين بالموضوع، فبادر إلى تحويله إلى منطقة المدية، وهو ما جعل ديدوش وبوضياف يتحفظان في الإقدام على تنفيذ المشروع[2].

زاول ديدوش نشاطه في دائرة البليدة والمدية، وكان ينهض بالمسؤوليات المدنية للحزب، كالتنظيم وجمع الاشتراكات ومتابعة نشاط الحزب على المستوى المحلي، وسمح له القرب من العاصمة من ملاقاة مسؤوله السابق بوضياف[3]، والذي كانت تختمر في ذهنه كثير من المخططات، فخلال ربيع سنة 1952 استقبل الضابطين المغربيين المرسلين من قبل الخطابي، ولأهمية الموضوع استدعى ديدوش من البرواقية لتعميق النقاش، وبعدها اتصلا بابن مهيدي وابن بوالعيد، وشكلت لجنة تنظيم واتصال للنظر في مشروع تحضير الثورة[4].

وخلال مرحلة مسؤوليته بدائرة المدية الحزبية وقع التعرف عليه من قبل الدرك الفرنسي بالبرواقية، وفي طريق نقله إلى مركز الدرك تمكن بذكائه وشجاعته من الإفلات واللجوء إلى مسكن عيسى كشيدة بالعاصمة، وروى كشيدة تلك الحادثة في مذكراته، " بعدما تناول قليلا من الطعام روى لنا المغامرة التي عاشها في المدية ، فقد أوقفه دركيان، وفي الطريق نحو مقر الدرك تمكن ديدوش من خلع قشابيته والإطاحة بهما، ولاذ بالفرار بعدما نزع عمامته متجها نحو العاصمة التي قدم إليها راجلا، وأصيب بإسهال أطرحه الفراش، وحكى مغامرته بعد ذلك لبوضياف الذي طلب منه عدم التحرك لمدة يومين أو ثلاثة أيام، أتى له عبدالله بالدواء،

1- شهادة بوضياف ومحري عبدالحميد، محري عبد الحميد: أحداث محددت للفاتح نوفمبر 1954، مجلة **الأصالة**، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر ،السنة3،ع 22 (أكتوبر –ديسمبر1974)، و بوضياف محمد: **التحضير لأول نوفمبر 1954**، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر ،2011 ، حيث يذكر بوضياف انه اضطر لإشراك ديدوش في المحادثات مع مبعوثي الخطابي.

2 - محمد بوضياف: المصدر السابق، ص 30

3 - محمد مشاطي: المصدر السابق ، ص 54

4 - محمد بوضياف: المصدر السابق، ص 31- 32.

وصاحبه ابن مهيدي إلى الحمام، أعترف لي بعد ذلك بأن الخوف لم يساوره لحظة العملية وإنما خاف على ما سيأتي بعدها"[1].

ومنذ سنة 1952 ونظرا لتنادي الحزب في إعادة بعث المنظمة الخاصة قرر إطارات المنظمة الخاصة بوضياف وابن مهيدي وديدوش وابن بوالعيد المضي قدما لإعادة بعث المنظمة الخاصة، وذلك بعيدا عن الحزب المنشغل بانقسامه الهيكلي، وتم استقطاب محمي لهذا المشروع، ووقع الاتصال بقادة المنظمة في الشمال القسنطيني والأوراس ومنطقة القبائل، ولكن المهمة اصطدمت بازدياد رقابة الشرطة الفرنسية على تحركات بوضياف، فقرر الأخير أن يلتمس من الحزب نقل نشاطه إلى فرنسا، حتى يتسنى له إنجاح مشروعه، وفي أواخر صيف 1953 نقل بوضياف وبعده ديدوش إلى فرنسا للإشراف على فدرالية الحزب هناك، وتبعهما قراس عبدالرحمن وحباشي عبدالسلام، ووجدا الفرصة للقيام بالتحركات اللازمة لكسب المناصرين لمشروع الثورة، وذلك في الوقت الذي كان الحزب يعتقد أنه تخلص من عناصر مشاغبة ومتابعة أمنيا[2].

وفي فرنسا لم يتخل بوضياف وديدوش عن طموحهما في التحضير للثورة، فبعيدا عن رقابة الحزب حاولا تشكيل رأي عام مناهض لجناحي الحزب المتصارعين، المركزيين والمصاليين، وجمع الإمكانيات المادية للثورة، والتنسيق مع القيادات الثورية المحايدة ومنهم محساس([3])، ويبدوا أن غضب بوضياف وديدوش كان على اللجنة المركزية أولا ثم على مصالي، وبعدها اختارا تشكيل كتلة ثالثة محايدة، تهيئ لنفسها تفجير الثورة، وبذلا جهدا كبيرا في إقناع المناضلين بهذا الخيار، وهذا ما يؤكده بعض مناضلي فدرالية حركة الانتصار بفرنسا، ومنهم أحمد حدانو المعروف ب "الكابا"، والذي يروي أنه التقى ذات يوما ديدوش بمقر الاتحادية، فوجده غاضبا على اللجنة المركزية التي لم يعد يرجى منها أمل في تفجير الثورة، وعلى مسؤوليها الذين لا يستحقون ثقة القاعدة فيهم، وأعلمه أنه سيتصل وبوضيلف بمصالي لمحادثته في الموضوع وأن جوابه كما ذكر ديدوش كان سلبيا برده " أترك هذا الشأن لي"، وقد أبدى له ديدوش في لقاء آخر خيبته من موقف ميصالي، وأقسم أمامه قائلا:" لو أن الحاج استمع إلينا لما كنا بحاجة قط إلى المركزيين"، ويضيف أحمد حدانو أن ديدوش والطيب بولحروف كانا يترددان على مطعم الاتحادية خلال شهر رمضان ربيع سنة 1954، ولكنه إختفى فجأة إلى أن ظهر في منصف شهر يوليو 1954 وأخبره مع مجموعة رفاقه بقرار إعلان الثورة ودعاهم للالتحاق بجبهة التحرير الجديدة وأعلمهم بأن الرجال قلة والأسلحة كذلك، وعندما سأله أحمد

1 - عيسى كشيدة : **محندسو الثورة**، تر موسى أشرشور، منشورات الشهاب، الجزائر، 2003، ص50 .

2 - محمد بوضياف: المصدر نفسه، ص 32. 33

3 - دحو جربال: **المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني**، ص 27.

حدانو عن الاستقلال ومكانة الثوار الأوائل أجابه ديدوش بحكمة قائلا: "نبدأ أقلية، وننتهي أقلية. وهذا هو الثمن، ومن يحاول أن يفهم بعد الاستقلال فسيكون مصيره سركاجي في أحسن الأحوال"، وقال ديدوش لرفاقه مودعا،" إني عائد للفندق..فإذا وجدت برقية فسأعود إلى الجزائر فورا، وفي هذه الحالة سيتصل بكم نيابة عني المناضل ماضي الذي تعرفونه"([1]) .

وفي بداية عام 1954 التأم بأحد أحياء باريس لقاء بين بوضياف ومحساس وابن بلة، وتم التوافق خلاله على الإسراع في التحضير لتفجير الثورة، وتوزيع المهام بينهم، حيث تكفل بوضياف بالعودة إلى أرض الوطن وتجميع عناصر المنظمة الخاصة للتحضير للثورة، وتكفل ابن بلة بالعمل الخارجي ومحساس بفدرالية فرنسا([2]).

ولتنفيذ مخططه استطاع بوضياف بذكائه إقناع المركزيين بإعادته إلى أرض الوطن، متحججا بثني بعض العناصر الثورية عن موالاة خصمها مصالي، وعاد يوم 11 مارس 1954، ثم لحق به ديدوش ليشرع في عمل مرطوني، اجتمع مع ابن مهيدي وبيطاط، وتقابل مع جماعة قسنطينة ومع دخلي محمد ممثل المركزيين، وسريعا توصل إلى إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23 مارس، وكانت بمثابة الغطاء لإضفاء الشرعية على تحركاتهم لانجاز مشروع الثورة([3]).

وخلال هذه المرحلة كان بوضياف يستعين بديدوش في كل محامه، الاتصال بمسؤولي المنظمة الخاصة من أجل الاستعداد، تحضير الاستعدادات اللوجستيكية، التعبئة لإنجاح مشروع الثورة، ولا شك أن كل النجاحات التي حققها كان يقف ورائها الشاب النشط ديدوش، والذي لعب دورا محوريا في التحضير لاجتماع الاثنين والعشرين يوم 25 جوان 1954، وخاصة من خلال دعوة قدامى المنظمة الخاصة الحضور، تهيئة مقر الاجتماع لدى صديقه إلياس دريش، محاولة إقناع عناصر منطقة القبائل بالالتحاق بالركب، ويستحق بذلك ديدوش لقب المساعد الرئيسي لبوضياف وصانع نجاحاته، حيث لم يكن يرى بوضياف إلا وديدوش برفقته، ومع ذلك نعتقد أن بوضياف لم يكن وفيا لصديقه وهو يؤرخ مرحلة تفجير الثورة، فهو لم يذكره كشارك في انجازاته سوى ثلاث مرات، الأولى ذكر أنه أشركه في اجتماع حضره ابن بوالعيد، وقرروا ثلاثتهم حل اللجنة الثورية للوحدة والعمل بعد أربعة أشهر من العمل، والثانية في سياقه حديثه عن دعوته

1 - شهادة أحمد حدانو، في حوار مع محمد عباس، جريدة الخبر ، عدد يوم 14 أفريل 2003.

2 - حول الاجتماع راجع شهادة ابن بلة وبوضياف ومحساس : أحمد منصور: **الرئيس احمد بن بيلا.. يكشف عن أسرار ثورة الجزائر**، كتاب الجزيرة، شاهد على العصر، الدار العربية للعلوم ودار ابن حزم، لبنان، 2007، ص 118ـ 119 ، ومحمد بوضياف: **التحضير لأول نوفمبر 1954**، دار النعمان، الجزائر، ص 52ـ 53

Ahmed Mahsas, *Le mouvement révolutionnaire en Algérie, éditions BARKAT , Alger, 1990,* p307

3 - محمد بوضياف: المصدر السابق، ص 41

اللجنة الخماسية المنتخبة في اجتماع 22 لعقد اجتماعها الأول وتطبيق القرارات المتخذة، والمرة الثالثة عند اضطراره لدعوة ابن بوالعيد وديدوش وبن مهيدي لحضور اجتماع بيرن مع ابن بلة في منتصف جويلية 1954([1])، وذلك على الرغم من أن ديدوش حاضرا في اجتماعات اللجنة الخماسية قبل أن تصبح في سبتمبر 1954 سداسية بانضمام كريم، وأنه كان يتكفل بالمهات الصعبة ويرافق بوضياف باستمرار .

فبخصوص تحضير اجتماع الاثنين والعشرين الناجح حرص ديدوش على دعوة عناصر الشمال القسنطيني الذين ارتبط بعلاقات وثيقة معهم بحكم مسؤوليته السابقة عليهم، واختار بيت إلياس دريش أحد رفاقه الأوائل في النضال، وهو ما تؤكده شهادة هذا الأخير" في حدود شهر ماي 1954 زارني في منزلنا كل من ديدوش مراد وزوبير بوعجاج، قال لي مراد : المطلوب منك أن تأوي في منزلك بعض أعضاء المنظمة الخاصة المطلوبين من طرف البوليس، وينبغي أن توفر لهم المخبأ هناك إلى غاية انعقاد اجتماع كبير الأهمية ستجري وقائعه في منزلكم بعدد بضعة أيام.." [(2)] .

وأما فضل ديدوش في كسب قادة منطقة القبائل فقد أرخ له عيسى كشيدة، والذي ذكر أنه هيأ لديدوش في محله لقاء مع أوعمران، ولكن الشرطة حضرت بعد نصف ساعة وطوقت المكان، وبعد ساعة غادرت المكان، وأبلغ كشيدة ديدوش وبوضياف بالأمر وحذرهم من الاقتراب من محله لبضعة أيام[(3)]، وتذكر شهادات أخرى تفاصيل اللقاء مع أوعمران، فقد ديدوش محل ثقة الرجل وبفضل إقناعه وعد أوعمران بتغيير موقف كريم وهو ما تم بالفعل[(4)]، ولا شك أن مثل هذا اللقاء المبكر في ماي 1954 كان له أثره في كسب القادة القبائل لمشروع الثورة، خاصة وأن ديدوش ينتمي إلى منطقة القبائل وخبير بأساليب الإقناع، وقد اتصل كذلك بعمر أوصديق واجتهد في إقناعه، ولكن الأخير ـ الذي التحق بالثورة بعد ذلك وأصبح رائدا ـ صارحه بالقول أن قلبه مع حزب الشعب ولكنه انخرط في الحزب الشيوعي[(5)].

والى اللحظة الأخيرة لتفجير الثورة تكفل ديدوش بمحادثة العيشاوي وكلفه بطباعة بيان أول نوفمبر، اقتنى له الوسائل المطلوبة، ثم ربط اتصاله بكريم في منطقة القبائل، وفعلا تمت في يوم 27 أكتوبر 1954 طباعة نحو 2300 نسخة، وقام كريم بإيصالها الى العاصمة[(6)].

---

1 - محمد بوضياف: المصدر نفسه، ص ـ ص42 ـ 75

2 - شهادة الياس دريش، عفرون محرز: المصدر السابق، ص 181

3 - عيسى كشيدة : المصدر السابق، ص 84 .

4 – عبدالرحمن زناقي : المرجع السابق، ص 50- 51 .

5 - المصدر نفسه، ص 86 .

6 - عيسى كشيدة: المصدر السابق، ص 105 .

وقد نال ديدوش بحيويته ونشاطه إعجاب رفاقه من لجنة الستة، وخاصة بوضياف وابن مهيدي وابن بوالعيد، والذين خبروا حماسه وحيويته في تأدية أصعب المهمات، وقد كان عيسى كشيدة شاهدا على ذلك، "كانوا جميعهم يحبون الشاب المتحمس ديدوش مراد الذي كان دائما متطوعا ويأتي مرارا ليبلغهم بكل ما يفعل، نادرا ما كان ديدوش يقيم عندي، وهو يتحرك دوما وعلى علاقة بالمناضلين، إذ كان شغوفا بالاتصالات وعلى التعبير عن رأيه وإقناع محدثيه"[1].

ومن خلال ما سبق يتأكد لدينا أن الشهيد كان شخصية ثورية وحيوية، ينهض بأدوار أساسية، ويتحرك مع بوضياف للدفع بمشروع الثورة نحو التجسيد، وخلال الثورة أدى الدور الحيوي ذاته في تحضير وقيادة الثورة.

ثالثا ـ ديدوش مراد وقيادة الثورة في منطقة الشمال القسنطيني:

يعد ديدوش مسؤولا بارزا في المنظمة الخاصة، فقد عين نائبا لقائد منطقة الجنوب القسنطيني ابن مهيدي منذ العام 1948، ثم خلف بوضياف في قيادة الشمال القسنطيني في ربيع 1950، وقد أشرف ديدوش على تشكيل عدة أفواج عسكرية في عنابة وتبسة وسوق أهراس، وهو في فرنسا ظل يتواصل عن طريق البريد والمرسولين مع قدامى قيادة المنظمة الخاصة بقسنطينة، وهو بذلك يعرف المنطقة جيدا وإن لم يكن منها، وفضلا عن ذلك فهو يعرف المنطقة الرابعة عكس بيطاط، المرشح السابق لقيادة المنطقة الثانية، والذي تبادل مع ديدوش قيادة المنطقة الرابعة إثر أزمة جماعة قسنطينة التي انتقدت خيار بوضياف في تعيين بيطاط بدل عبدالرحمان غراس([2]).

ومنذ وصول ديدوش إلى منطقة الشمال القسنطيني خلال مارس 1954 بدأ مهمته في الاطلاع على الوضعية، والاتصال بخلايا المنظمة الخاصة التي كان يعرف رجالها، وقد ركز على تحضير عدة قسمات رئيسية، منها السمندو، الحروش، سكيكدة، ميلة، الميلية، عنابة، سوق أهراس، وأول لقاء عقده ديدوش مع جماعة السمندو، وحسب شهادة ابن عودة فقد أبلغهم ديدوش بضرورة اتخاذ موقف الحياد من الأزمة، وأن عناصر المنظمة الخاصة سيكونون لجنة لرأب الصدع بين الطرفين وفي حالة الفشل سوف تكون مع الطرف المستعد للثورة، وكان جواب زيغود ورفاقه نحن معك، وبعدها تشكلت اللجنة الثورية للوحدة والعمل، واستدعي زيغود ورفاقه لحضور اجتماع الاثنين والعشرين التاريخي بالعاصمة([3]).

1 - عيسى كشيدة: المصدر السابق، ص 50. .

2 - Allege henri , la guerre d Algérie , t 1, temps actuels, paris, 1981, p 348

3 - شهادة ابن عودة، محمد عباس: **ثوار ... عظماء**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص ص 214. 215

وفي إطار التحضير للثورة تشير بعض المصادر إلى أن ديدوش عقد اجتماعا مع ابن بوالعيد وباجي مختار في سوق أهراس صيف 1954 للنظر فيما تم تحقيقه من خطوات إعداد الأفواج وجمع الأسلحة، وفض بعض المشاكل منها ما تعلق بدخول الفلاقة التونسيين إلى الجزائر وطلبهم للسلاح، وتوج الاجتماع بتعيين ديدوش لباجي مساعدا له وقائد على ناحية سوق أهراس، وعاد مرة ثانية خلال شهر أكتوبر إلى المنطقة للقاء باجي، وكل ذلك يدل على اهتمام قادة المناطق بمسألة التنسيق مع مسؤولي النواحي أو نظرائهم مسؤولو المناطق([1]).

كما تحول ديدوش إلى منطقة القالة وأشرف على تكوين أول فوج بالمنطقة بقيادة نائبه ابن عودة([2])، وكان يطمح الى إنشاء أكبر عدد من الخلايا في كامل مدن الشمال القسنطيني، ولكن الظروف لم تسمح له بتحقيق جميع أهدافه، وذلك بفعل وصالة الحزب ومصالي على المناضلين، وحالة التخوف من المغامرة وإعادة بعث المنظمة الخاصة التي تعرضت لاضطهاد شديد.

وقد كان ديدوش يعتمد على نوابه في الاستعداد للثورة، وخاصة ابن عودة في عنابة وابن طوبال في ميلة والميلية، وزيغود يوسف في السمندو، واختار ديدوش التمركز في السمندو لتوسطها وانضباط مناضليها، وجعل منها منطلقا لتنفيذ جولاته، والعودة إليها لاستقبال المناضلين وعقد الاجتماعات مع نوابه([3]).

ومنذ جويلية وأوت 1954 رسم ديدوش "سي عبدالقادر" إستراتيجية لكسب المناضلين لمشروع الثورة، وانطلاقا من السمندو كان ينطلق برفقة نائبه الأول زيغود لتحسيس المناضلين وتحييدهم عن صراعات الحزب وتهيئتهم لليوم الموعود، وذلك ردا على مبعوثي المصاليين والمركزيين، مزغنة وعبدالحميد مهري على التوالي، اللذين حلا بالمنطقة للتحضير لانعقاد مؤتمر هورنو ومؤتمر المركزيين جويلية 1954، ونجح إلى حد ما في تكوين جبهة ثالثة محايدة وفقا لتوجيهات بوضياف([4]).

خاب أمل ديدوش ورفاقه من مؤتمر المركزيين في بلكور 13- 16 أوت 1954، كان النقاش منصبا على وحدة الحزب بدل التحول للعمل المسلح، وفي قطار العودة الى قسنطينة استأنف النقاش بين بولحروف وقدروج من جهة، وبن بوالعيد وديدوش من جهة أخرى، وبعد أن يأس هذا الأخير من حجج مناقشيه

1 - علي العياش: الشهيد باجي مختار، مجلة اول نوفمبر العدد ، 79، نوفمبر 1986، ص 35

2 - المرجع نفسه، ص 35

3 - محمد قديد: الرد الوافي على مذكرات كافي، دار هومة للنشر، الجزائر، 2001، ص 21

4 - محمد قديد: المصدر نفسه، ص 21

صارحهم بالقول:" على أي حال سننتقل الى العمل المسلح، وانتم سيتم القبض عليكم جميعكم واحدا تلو الآخر"([1]).

لقد تمكن ديدوش بصراحته وذكائه كسب عدة خلايا للحزب لصالح فكرة العمل المسلح، ومنها خلية عزابة التي يترأسها ممثل حركة الانتصار علي منجلي، ذهب إليه للمرة الثانية، وبعد أن حج إليه حسين لحول ممثل المركزيين، وبشهادة منجلي فإن ديدوش أقنعه بالالتحاق بجناح اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وكان جوابه صريحا بخصوص رغبتهم في تشكيل جناح محايد عن المركزيين ولا المصاليين هدفه إعلان الثورة، وذلك رغم الإمكانيات الضعيفة من السلاح "المهم أن نعلن الثورة حتى تسهل مهمة البعثة الخارجية في جمع السلاح من البلدان العربية في المشرق، فالمساعدة تأتي بعد تفجير الثورة"، وعندما أبلغه منجلي بتوفر المال والرجال أجابه ديدوش أن الإستراتيجية حاليا تقتضي تهيئة أرضية الثورة: الشعب في الأرياف، والمخابئ والاتصالات، "علينا بتهيئة الجبال قبل تجنيد الرجال، فأين يذهب الرجال إذا كانت الجبال غير جاهزة للعمل الثوري؟"([2])، وإن هذه الشهادة تعبر عن أسلوب ديدوش الناجح في كسب المناضلين لصالح الثورة، وهي الإستراتيجية التي واصل زيغود إتباعها، وبفضلها حققت الثورة نجاحاتها، لقد استلهم أغلب إطارات الولاية الثانية إستراتيجيتهم الثورية من توجيهات ملهمهم ديدوش.

كما كان ديدوش يساعد بوضياف على كسب فدرالية حركة الانتصار بفرنسا، والتقى بوضياف بغراس وأحمد الدوم وغيرهما من أجل التصدي لجماعة مصالي، وحسب شهادة حربي فقد تلقى رسائل من ديدوش يطلب منه الاتصال بأحمد محساسو وحسين مومجي ليطلب منهما مغادرة الجزائر إلى الخارج للقيام بالدعاية لصالح اتجاهه، ولكن الاتصال الذي أراد ديدوش ربطه بالمناضلين في فرنسا انقطع بفعل تفطن الشرطة الفرنسية واعتقالها لمشموش ومحمود حربي، اللذين كانا عون اتصال ديدوش([3]).

وقد اهتم ديدوش بانتقاء الإطارات والمسؤولين لأهميتهم في إنجاح العمل الثوري وتحمل المسؤوليات، وفي هذا الشأن تشير المصادر إلى أنه طلب من بن بوالعيد أن يدعمه بابن طوبال المتواجد في الخروب، وكلفه بقيادة الناحية الأولى ميلة، وذلك في اجتماع حضره زيغود وابن عودة وقديد([4]).

1 - رواية قدروج مسعود نقلها جربال، دحو جربال: **المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني**، تر سناء بوزيدة، منشورات الشهاب، الجزائر، 2013، ص 20

2 - شهادة علي منجلي في حواره مع محمد عباس، جريدة الشعب، عدد 27 جويلية 1985.

3 - دحو جربال: المرجع السابق، ص 22، 23 .

4 - بيتور علال : العمليات العسكرية في المنطقة الثانية ـ الشمال القسنطيني، ـ رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007، ص 32

كما اهتم بمسألة التسليح والتموين، حيث اعتمد على مخزون السلاح المتواجد بالسمندو منذ عهد المنظمة الخاصة، وطلب من المناضلين في اجتماع عقده بمزرعة ابن طوبال قرب ميلة بجمع أسلحة الصيد والمؤونة، وإقامة مراكز للتموين والاتصال للاعتماد عليها في بداية الثورة[1].

وواجه ديدوش مشكلة عويصة في المنطقة الثانية، تمثلت في تمسك مناضلي قسنطينة بتعيين مسؤولهم عبدالرحمن غراس مسؤولا على منطقتهم ومطالبتهم بلقاء تنظيمي مع بوضياف لإصلاح خريطة طريق اجتماع 22، اضطر ديدوش حسب شهادة مشاطي لعقد اجتماع معهم بقسنطينة والمرافعة عن موقفه الداعم لخيارات بوضياف ومكتبه التنسيقي، وقد أصر على عدم مناقشة القرارات التي اتخذت في اجتماع الاثنين والعشرين، والتهديد بضرورة السير مع الثورة، وهو ما أدى إلى تهميش مجموعة قسنطينة "ديدوش مراد الذي كان ممثلا لبوضياف لم يكن يريد مواجهة غراس وزيغود (وكان الاثنان على نفس الذبذبة) وصل مرفوقا بن طوبال من ميلة، وفورا قالا لنا أن زيغود كان له عائق في اللحظة الأخيرة، ثم بقي بن طوبال صامتا طيلة السهرة... في حين كان ديدوش يرفض بعصبية كل اقتراحاتنا، خلال نقاشاتنا طلبت أنا وغراس اجتماعا جديدا بالجزائر قصد تخطيط أحسن لانطلاقة الثورة، كان ديدوش مصمما" لا ، تتبعوننا، والذي لا يتبعنا يذهب للسجن"([2]).

بذل ديدوش جهدا معتبرا في تنظيم الأفواج الشبه عسكرية للمنظمة الخاصة في الشمال القسنطيني، وقد كان عارفا بمنطقة قسنطينة على عكس ما يذهب إليه بعض الباحثين، ومنهم جيلبار مييني، إذ عاش في مدينة قسنطينة السنتين الأخيرتين من الحرب العالمية الثانية، وكان له رفاق كثر من زملاء الدراسة، كما تولى بعدها مسؤولية المنظمة الخاصة بالمدينة وبالعمالة، وفي الوقت ذاته كان يعرف المنطقة الرابعة الجزائر، بحكم نشأته ونضاله في العاصمة، كما كان في فترة ما قبل الثورة من أبناء منطقة التيطري لأنه عين لفترة مسؤولا عن دائرة المدية في حزب حركة الانتصار، وكان انتمائه الرمزي لمنطقة القبائل يؤهله للتعرف على مناضلي المنطقة بالعاصمة([3])، وقد فضل بوضياف تعيينه مسؤولا عن منطقة العاصمة، ولكن الخلاف الذي أثاره مناضلو قسنطينة حتم عليه نقله إلى المنطقة الثانية، فقد أخذ مناضلو قسنطينة تفضيل بوضياف لبيطاط على بعض المسؤولين الأكثر منه خبرة ومسؤولية في النظام وتمسكوا بتعيين مسؤولهم عبدالرحمان

1 - عبدالرحمن زناقي المرجع السابق، ص 60 .

2 - محمد مشاطي : المصدر السابق، ص70

3 - خيثر عبدالنور : **تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية**، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2004، ص 130

غراس، مما اضطر بوضياف لمعالجة الأمر بتعيين ديدوش في المنطقة الثانية ونقل بيطاط إلى المنطقة الرابعة([1]).

وقد حضر ديدوش الاجتماعات التي كانت تعقدها اللجنة السداسية لقيادة الثورة خلال صيف وخريف 1954 في العاصمة، والتي أنهتها بالاجتماعين الفاصلين يومي 10 و 23 أكتوبر، وتولى ديدوش خلالها المهام الصعبة في مساعدة بوضياف، وحسب شهادة بوضياف فإن ديدوش هو من تكفلا بتحرير جل نقاط بيان أول نوفمبر الذي تم تزكيته في الاجتماع الأول، كما أجرى ديدوش في خرايسية رفقة 14 مناضلا تربصا لصناعة المتفجرات أشرف عليه ابن بوالعيد([2])، وعاد بعدها إلى السمندو للإشراف على التحضيرات النهائية لاندلاع الثورة.

وفي يوم 25 أكتوبر عقد ديدوش اجتماعا مع نوابه بالسمندو، حضر الاجتماع زيغود ونائبه محمد الصالح بن ميهوب عن ناحية السمندو، ومحمد قديد وعبد السلام بخوش عن الحروش، وحضر ابن طوبال عن ميلة، وحضر عمار بن عودة عن عنابة، وباجي مختار عن سوق أهراس، وخلاله قدم كل مسؤول عرض حال عن منطقته، وأطلعهم ديدوش عن المستجدات وتحديد موعد اندلاع الثورة وسلمهم بيان أول نوفمبر، ووجه إليهم تعليماته، والمتعلقة أساسا بإنجاح عمليات تفجير الثورة، والاعتماد على حرب العصابات أسلوبا حربيا، وعلى العمل السياسي للتعريف بالثورة، والتقرب من الشعب لكسبه لصالحها [(3)].

وطالت الهجومات في المنطقة الثانية أهداف محددة، فقد تم إطلاق النار على مركز الدرك بالسمندو، وقاد ديدوش الهجوم بنفسه رفقة زيغود، وتم الاستيلاء على قطع من الأسلحة واللجوء إلى الجبال، وطال هجوم آخر مركز الدرك بالحروش قاده غرسله[(4)]، وكذا على مستودع الوقود في الخروب وقتل حارسه، وتم تجريد حراس بلدة سان شارل من سلاحهم[(5)]، ولم تنفذ بعض الهجمات في آخر لحظة، ولم تحقق بعضها الأهداف كاملة، وقد تشكلت أربع أفواج على مستوى المنطقة ضمت حوالي مائة مجاهد وهي: الفوج الأول بقيادة ديدوش مراد، والفوج الثاني بقيادة زيغود يوسف، والفوج الثالث بقيادة عبدالله بن طوبال والفوج الرابع فوج ميلة[(6)]. وكانت انطلاقة الثورة ناجحة في الميلية كما يشهد على ذلك المسؤولين

---

1 - سرد كل من حباشي عبدالسلام ومحمد مشاطي ملابسات القضية وهما من مناضلي قسنطينة، انظر محمد مشاطي: المصدر السابق، ص 68 ـ 71

2 - كشيدة عيسى : المصدر السابق، ص 95.

3 - بيتور علال: المرجع نفسه ، ص 33

4 - بيتور علال : المرجع نفسه، ص 35

5 - Harbi ,Mohamed , *1954, la guerre commence en algerie, ed, COMPLEXE ,Bruxelles, 1998*, p22

6 انظر بوالطمين لخضر: **لمحات من ثورة الجزائر**، دار البعث، قسنطينة، 1981، ص 8. 10

المحليين[1]، وفي ميلة تسعفنا شهادة العربي بلرجم الميلي في الإحاطة بظروف تفجير الثورة، حيث يذكر أن فوج ميلة المشكل من 16 مجاهدا كان يقوده ابن طوبال، وأن التحضيرات كانت شاقة وعصفت بها خلافات المسؤولين أنفسهم، وأن ابن طوبال كان مقربا من زيغود وبن عودة، رجع إلى ميلة بالتعليمات التي جاء بها ديدوش من العاصمة ولكنه وجد صعوبة في الاتصال بفوج ميلة كما يذكر بلرجم، وقد اجتهد هذا الأخير في ربط الاتصال به بعد أن اعتقد ابن طوبال أن الجماعة تخلوا عن الثورة، ولكنه حمد الله بعد أن أدرك أن الأمر يتعلق بانعدام الاتصال، كانت أفواج ميلة والميلية في موعد تفجير الثورة[2].

وفي يوم الثامن نوفمبر قرر ديدوش تنفيذ عمليات تخريبية في ناحية السمندو والحروش، فقام على رأس فوج بقطع خط الهاتف الرابط بين سكيكدة وقسنطينة بالقرب من الحروش، وكلف محمد قديد بتنفيذ عملية حرق لمخزون الفلين بالحروش، وهو ما تسبب في خسائر قدرت بنحو مليون فرك، وقام زيغود بقطع خيوط الهاتف الرابط بين رأس الماء ورمضان جمال بمنطقة برج الصباح[3]، وكان الدافع لتنفيذ هذه العمليات هو عدم نجاح هجمات الفاتح من نوفمبر وفق ما خطط لها، أو بهدف تأكيد استمرارية وقوة الثورة، وكذا توجيه ضربات موجعة للإدارة الفرنسية وإشعار غلاة المستوطنين بعدم الآمان في الجزائر.

وفي الأسبوع الثاني من نوفمبر عقد ديدوش مراد اجتماعا بمنطقة التوميات بناحية السمندو، حضره زيغود يوسف، محمد الصالح بن ميهوب، عبد الرشيد مصباح، محمد قديد، عبد السلام بخوش، عمار بوضرسة، وتم تقييم العمليات المنجزة والتأكيد على توسيع نظام الثورة ليشمل كامل الشمال القسنطيني، وفي هذا الشأن اتخذت القرارات الآتية:

ـ إعادة النظام إلى قرية عين بوزيان وتعيين محمد نفير مسؤولا عنها.

ـ إعادة هيكلة نظام مدينة الحروش لسد الفراغ الناتج عن التحاق المسؤولين الأساسيين بالجبل. وقد قام بالمهمة ديدوش شخصيا، وتم الاتصال بصالح بوجمعة وعمر طلاع..

ـ الانتقال إلى مدينة قسنطينة لإعادة ضبط النظام الذي أنشأه عبد السلام بخوش ومحمد قديد في أكتوبر1954، وأنجزت المهمة بإشراف ديدوش، كما تم الاتصال بمناضلي وادي الزناتي، وهم: عبد المجيد كحل الراس، وعبد الرحمان مهري.

---

1 - انظر شهادة المجاهد شيدخ، عمر شيدخ العيدوني: "**ملكة الفلاقة" شهادة المجاهد عمر شيدخ العيدوني**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص، ص 48. 54

2 - شهادة العربي بلرجم، المنظمة الوطنية للمجاهدين: **الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون**، ج 3، المصدر السابق، ص ـ ص 93.94

3 - استعرضت جريدة برقية قسنطينة هذه الأحداث، عدد يوم 10 نوفمبر 1954

ـ الإسراع في نشر الثورة بمدن قالمة، عزابة، وخاصة سكيكدة، لما لها من ثقل في عدد المناضلين، ومن أجل ذلك انتقل ديدوش إلى سكيكدة رفقة محمد قديد، يوم19 نوفمبر 1954، وقضى عشرة أيام في تشكيل خلية تتكون من 13 عضوا بقيادة محمود حربي[1].

وفي الأسبوع الأول من شهر ديسمبر انتقل القائد ديدوش رفقة قديد إلى قسنطينة للاطمئنان على الفوج الذي يشرف عليه مسعود بوجريو، ومصطفى عواطي واسماعيل زيغد، وتم الاتصال بجماعة وادي الزناتي التي يشرف عليها صالح بوبنيدر، وبالشيخ البيضاوي مسؤول الحزب في عالية قسنطينة في محاولة لاستقطابه، وخلال تواجده بقسنطينة تعرض ديدوش لمحاولة اعتقال نجا منها بأعجوبة[2].

وخلال شهر ديسمبر ذاته ربط علي كافي اتصالا بين ديدوش ورئيس الدائرة الحزبية لسكيكدة شعبان البري، وكان يراقب من بعيد تجادلهما، وكان ديدوش غاضبا منه وأسر لكافي قائلا : يمشي مع الثورة وإلا أطيح برأسه بنفسي"[3]، وهكذا فقد كانت تحركات ديدوش ترمي إلى كسب دعم السياسيين والمناضلين لصالح الثورة، وخاصة مسؤولو حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

وقد حقق قادة الشمال القسنطيني نجاحات مهمة وواجهتهم عدة عقبات خلال الأشهر الأولى للثورة، حيث تمكنوا من جمع شتات المنظمة الخاصة، وحشد الرجال وجمع العدة، ولكنهم أخفقوا في كسب تأييد قادة التيار الاستقلالي للمشروع الثوري، إذ ما يزال أنصار مصالي والمركزيين كثر، ومن الصعب اختراق تجمعاتهم وجعلها موالية للتنظيم الجديد "جبهة التحرير الوطني"، وهذا ما تؤكده شهادة ابن طوبال الذي ذكر أن تعداد مناضلي الجبهة على المستوى الوطني في بداية الثورة كان في حدود الألف في حين أن تعداد القاعدة النضالية لحركة الانتصار تتجاوز آنذاك العشرين ألفا[4].

وكان تصور قائد المنطقة ديدوش مراد للثورة واضحا، ينبغي بعد العمليات التفجيرية للثورة التفرغ للعمل السياسي وزرع خلايا الثورة في الأرياف ثم المدن، ولا يمكن خوض العمليات العسكرية في نظره خلال هذه المرحلة إلا في حالة الضرورة، لأن ذلك يفقد الثورة ملاذها الآمن بين السكان ويخرجها إلى مجابهة غير متكافئة، كانت حرب العصابات إذن هي إستراتيجية العمل الثورية لقائدة المنطقة الثانية حسب شهادات المجاهدين[5]،

1 - قديد محمد: المصدر السابق، ص 33

2 - قديد محمد: المصدر السابق، ص 33 وما بعدها

3 - علي كافي: مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي الى القائد العسكري، دار القصبة، الجزائر، ص 62

4 Mammeri, abane ramdane, op cit , p101

5 - إنه جانب من التعليمات التي كانت تصل إلى أفواج المجاهدين، عمر شيدخ العيدوني: المصدر السابق، ص 70

وقد أظهر ديدوش ورفاقه حنكة في مواجهة الظروف الصعبة التي واجهت الثورة في أشهرها الأولى، والتي كان من ملامحها سلسلة ملاحقات الثوار المدروسة، والتي كشفت إحداها موكب مراد ديدوش وقضت عليه في 18 جانفي 1955 بمنطقة بوكركر قرب السمندو[1]، وحول هذه الواقعة قدمت روايات مختلفة، فقد قيل أن عيون المستعمر توصلت الى مكان تحركه وحاصرته، وقيل أن ذلك وقع بالصدفة، وأنه لم يكن معروفا في بدأ المعركة تواجد القائد ديدوش، وقد كان ديدوش يخطط للذهاب إلى عنابة، واضطر المجاهدون للدخول في معركة غير متكافئة وحاولوا الإفلات من الحصار دون جدوى، احتدمت المعركة بوصول تعزيزات عسكرية فرنسية وصلت الى نحو 400 جندي، وأثناء محاولة فك الحصار استشهد ديدوش مراد وهو يحاول التغطية على جنوده المنسحبين، وقد تمكن عدد من المجاهدين من الإفلات والاختباء في دوار حبابة دون أن يتمكن العدو من اكتشافهم، وتفاجأ العدو بالعثور على جثة القائد ديدوش، مما دفع أحد الضباط لتقديم التحية العسكرية لأول قائد للثورة يسقط في ساحة الوغى[2].

الخاتمة:

وهكذا كتب القدر أن يستشهد ديدوش والثورة في بدايتها، كان بحق مناضلا وطنيا صادقا، تربى في مدرسة الوطنية، حزب الشعب والكشافة الإسلامية، وفضل أن يطلق عيشته الرغدة وأن يتجند في سبيل القضية الوطنية، وقد بذل جهودا كبيرة إلى جانب بوضياف في إنشاء المنظمة الخاصة والتحضير للثورة، حيث تولى مسؤولية المنظمة الخاصة بقسنطينة، وسعى إلى إعادة بعثها من جديد تحضيرا للثورة، ونجح في التحضير للثورة بصفته الساعد الأيمن لبوضياف ومهندس نجاحاته، ونظم وقاد الثورة بنجاح في الشمال القسنطيني خلال الأشهر الأولى إلى أن سقط شهيدا.

1 - علي كافي: المصدر السابق، ص 98

2 - Achour cheurfi, dictionnaire de la revolution algerienne (1954_ 1962), casbah , alger,2004, p 86.